

2020

العقيدة الإلهية في الفكر العربي

نور الدين جفال
قسم علم الاجتماع، جامعة تبسة، الجزائر

باهي التركي
قسم الحقوق، جامعة تبسة، الجزائر

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>



Part of the [Arabic Studies Commons](#), [Islamic Studies Commons](#), [Law Commons](#), and the [Sociology of Religion Commons](#)

Recommended Citation

"العقيدة الإلهية في الفكر العربي and جفال, نور الدين", *Dirassat*: Vol. 22 : No. 24 , Article 1. (2020) بالتركي, بهي (2020) "العقيدة الإلهية في الفكر العربي and جفال, نور الدين". Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol22/iss24/1>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Dirassat by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

العقيدة الإلهية في الفكر العربي

Cover Page Footnote

نبيل توفيق السمالوطي، الدين والبناء الإجتماعي، 57/2 دار الشروق 1-

العقيدة الإلهية في الفكر العربي

La divinité dans l'idiologie arabe

د. جفال نور الدين - قسم علم الاجتماع - جامعة تبسة - الجزائر
د. التركي باهي - قسم الحقوق - جامعة تبسة - الجزائر

1. مقدمة:

ترجع نشأة الظاهرة الدينية في نفوس البشر إلى قانون السببية causality والغائية teleology وهذان القانونان إذا أحسن فهمهما أدباً بالضرورة إلى الإيمان بالتوحيد والخلود، ويشير القانون الأول إلى أن وجود العالم ووجود الإنسان لا يمكن تفسيرهما إلا بالرجوع إلى خالق المخلوقات وهو الله سبحانه وتعالى، أما قانون الغائية فهو يشير إلى أن كل شيء منظم متنسق متناسق، لا يمكن أن ينشأ عن عشوائية أو صدفة، وإنما تصدر عن منظم مدبر مريد، ووحدة القوانين الطبيعية ووحدة تكوين الخلية الحية، كلها دلائل على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى، ويحاول علماء الاجتماع الديني وعلماء الأديان البحث عن الصور الأولى لظاهرة التدين، وكان الواقع أن آدم عليه السلام كان موحدًا على ملة الإسلام كما علمه ربه سبحانه وتعالى، وهو يمثل نشأة الجنس البشري، فقد ضل البشر بعد آدم، ولكنهم ما لبثوا أن ثار لديهم الشعور الديني لأنه شعور فطري¹.

فالفريق الأول: ويمثله النموذج التطوري evolutionary model خاصة أنصار نظرية التطور في خط مستقيم تصاعدي، وهو اتجاه ساد الفكر الإثنولوجي والسوسولوجي والأنثروبولوجي خلال القرن التاسع عشر في أوروبا، حيث وجد العلماء التقدم العلمي في مجال الطبيعة، ووصول العلماء إلى قوانين بصدد العلوم الطبيعية، هذا إلى إصدار دارون كتابه في أصل الأنواع origin of species دفعت هذه العوامل وغيرها الباحثين في مجال المجتمعات الإنسانية والنظم الاجتماعية إلى البحث حول أصول النظم الاجتماعية وإصدار قوانين عامة بصددها (دون أن تستند إلى دراسات مقارنة كافية أو إلى أساس منهجي قديم) ويذهب أنصار هذا الاتجاه التطوري إلى أن الدين بدأ في شكل الإيمان بالخرافات ومظاهر وثنية، ثم أخذ الإنسان يرتقي في عقائده الدينية على مدى الأجيال، مع اتساع معارفه ونمو ثقافته، حتى وصل إلى قمة الديانات، وهي

1 - نبيل توفيق السالوحي، الدين والبناء الاجتماعي، 57/2 دار الشروق.

ديانة التوحيد، تماماً كما حدث بالنسبة للعلوم والفنون والتكنولوجيا، وقد تطرق بعض الباحثين خاصة من المستشرقين حيث زعموا أن عقيدة التوحيد وليدة عقل خاص، هو ذلك العقل الذي ينتمي إلى الجنس السامي، وهذا زعم خاطئ، ذلك لأن عقيدة التوحيد في شكلها الصحيح هي وليدة الفطرة السليمة في الإنسان عموماً، دعمها الله سبحانه وتعالى بالرسول والكتب لتوضح للناس الطريق المستقيم في علاقتهم بالله سبحانه وتعالى، وعلاقتهم بعضهم ببعض، وفي مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، هذا إلى أن قضية الجنس السامي والجنس الآري لا تستند إلى أساس علمي لأنه لا يوجد جنس آري وآخر سامي، ولكن توجد لغات آرية¹، أما الفريق الثاني وهم الذين يقولون بنظرية فطرية التوحيد وأصلاته الغريزية في نفس الإنسان، ويمثل هذا الفريق مجموعة من علماء الأجناس والاثروبولوجيا ونفس الإنسان، مثل شريدر Schroeder الذي قام بدراسة ما أطلق عليه الأجناس الآرية القديمة، وأثبت وجود عقيدة الإله الأعلى، أو عقيدة التوحيد عند هذه الأجناس، وبركلمان brockelman الذي أثبت سيادة هذه العقيدة عند الساميين القدماء قبل الإسلام²، وأيضاً شلنج الذي قال في كتابيه فلسفة الميثولوجيا أن فكرة ما عن التوحيد غامضة وغير واضحة، كانت تسود الإنسانية الأولى ثم حدث انتقال إلى التعدد والشرك³.

ويصنف بعض العلماء الأديان إلى صنفين: أديان بدائية Primitive Religions، وأديان عليا The Higher Religions، غير أن هذا التقسيم لا يستند إلى التسلسل الزمني، وإنما يقوم على أساس دراسة أحكام الدين وعقائده وعمق أفكاره، فالأديان التي تقوم على أفكار بدائية وعلى السحر Magic وعلى المبالغة في التقديس وتقديم القرابين Sacred، والتي تنحصر عبادتها بأفراد قرية أو قبيلة واحدة، وأمثال ذلك مما يشرحه علماء تأريخ الأديان وعلماء فلسفة الأديان، هي من أديان الصنف الأول، فإذا توسع مجال الدين وشمل قبائل عديدة، وتعمق في أحكامه وفي تشريعه وفلسفته، وصار الإله أو الآلهة إلهاً ذا سلطان واسع أو آلهة ذات سلطان واسع عدّ الدين من الأديان العليا، وأما تقسيم الأديان إلى أديان قبلية Tribal Religions، و"أديان قومية" National Religions، وأديان مطلقة عامة "Absolute Religions" "Universal Religions"، وإن كان تقسيماً واضحاً ظاهراً بالقياس إلى الطرق الأخرى لتقسيم الأديان، يرد عليه أنه تقسيم بني على أسس وحدود ليست لها أرض صلبة في جوهر الدين وأركانه، فهو بعيد

1 - - نبيل توفيق السالوحي، الدين والبناء الاجتماعي، 57.

2 - نفسه، 57.

3 - محمد عثمان الخشت، الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم، 41، دار قباء.

عن المبادئ الأساس التي تجب مراعاتها في تقسيم كل علم أو موضوع¹، كذلك تجابه التقسيم الثلاثي إلى "أديان، الطبيعة" Nature Religion و"ديانة الشريعة" Geztzes Religion و"ديانة الخلاص" Erlosungs Religion عند بعض العلماء الألمان صعوبات كبيرة تجعل السير على أساسه في دراسة تطور الدين أمراً عسيراً شاقاً، وتستند دراسات علماء تاريخ الأديان لتطور الأديان والأدوار التي مرت بها إلى دراسة أمور كثيرة، تاريخية ونفسية واجتماعية واقتصادية، ولهم في ذلك جملة طرق، منها طريقة الدراسات المقارنة The comparative Method، وهي تعتمد كما يتبين من اسمها على المقارنات بين الأديان، فتتناول جميع النواحي بالبحث، لتجد ما بينها من مطابقات ومفارقات، ومنها طرق البحث التاريخي والاجتماعي Historical and Sociological Methods وتستند إلى الدراسات التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجغرافية والعوامل الأخرى، للناس وللمنطقة التي عاشوا فيها، وأثر كل هذه العوامل في نمو الأفكار الدينية وظهورها، وطرق عديدة أخرى تذكر في كتب تواريخ الأديان، وقد تقدمت دراسة تاريخ الأديان تقدماً كبيراً، ولا سيما بعد اتباع أساليب الطرق التجريبية والبحوث المقارنة والتحليل النفسي في هذه الدراسة، وظهر بحث جديد شائق طريف، هو "فلسفة الدين" The Philosophy of Religion أفاد كثيراً في معرفة دراسة تطور الأديان ومبادئها الأساسية، كما ظهرت فروع أخرى كهذا الفرع لها صلة بدراسة الدين وتقدمه، كالفرع النفسي الذي يعتمد الدراسات النفسية للدين، وهو فرع نستطيع أن نسميه بـ "علم النفس الديني" The psychology of Religion وكالفرع الذي يعتمد على أساليب بحث الاجتماع وطرقه لدراسة الدين باعتبار أن الدين نفسه ظاهرة من ظواهر الحياة الاجتماعية، وهناك عوامل عديدة لها أثرها في تطور الأديان، وفي "تكييفها"، منها أثر "العوامل الطبوغرافية" Topographic Factors، وأثر "المحيط" Climatic Factors وأثر الحالات النفسية في تكييف الدين، وفي تصور الناس لآلهتهم، ولهذا تصور اليونان مثلاً آلهتهم على شاكلتهم، تصوروها ذات أخلاق وصفات تشبه أخلاق البشر وصفاتهم، تتخاصم وتتصادق وتتباغض ويحسد بعضها بعضاً، تشرب الخمر وتخزن وتفرح، وتسرق أيضاً. ونجد في نفسية الشعوب الشمالية الأوروبية من الأساطير التي تتحدث عن الآلهة والأبطال².

1 - جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 7/11، دار الساقى، ط4، 2001م،

2 - جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 9/11.

ظهور فكرة الألوهية في العقائد الوثنية

يرى فاروق إسماعيل أن الدراسات الاثنوجرافية أظهرت في الحقب الأخيرة من القرن الماضي وبداية القرن الحالي مثل الدراسات التي قام بها Carrington, Hadden, Seligman لسكان ماليزيا و Keat Kruigt Blogdin لاندونيسيا، F Boas للإسكيمو حيث كشفت هذه الدراسات وغيرها على أن فكرة الألوهية Divinity كانت موجودة لدى الشعوب الوثنية التقليدية، وأن الوصول إلى فكرة الألوهية Divinity بمثابة استنتاج عقلي ومن البداهة والفطرة أن العالم قد خلقه كائن أعلى أي Superior Being ، بالإضافة إلى الدراسة التي قام بها فرنسيس دنج على الدنكا حيث ينظر هذا الشعب الدنكاوي إلى الجنس البشري على أنه خاضع إلى قوة واحدة عليا لديه القدرة على الخلق والتدبير وطالما كان البشر مختلفين فان ألهمتهم مختلفة ومن ثم كان لكل جماعة أو طائفة أو عشيرة أو قبيلة آلهتها الخاصة، فمثلا بالنسبة إلى شعب المايا فله عدة آلهة، وهناك مخطوط للمايا يذكر أكثر من مئة وستين من هذه الآلهة، ومثال ذلك أن المايا عبدوا إله الشمس كينيش وهو إله الذرة أهون، وإلاه المطر شاك ، واله القمر إكسشي، وكان كل إله يهتم بجانب واحد من الحياة المايا، فكانت آلهة الطب إكسثيل، وأيضا الرومان الأوائل يعتقدون بأن لألهمتهم سلطة على الزراعة وعلى نواحي الحياة اليومية كلها، فقد كانوا يزعمون أن سيريز مثلاً، إلهة للحصاد ويانوس حارس الأبواب، والهة فستا حارسة النار¹، خلاصة الأمر أنه هناك عدة نقاط يمكن استخلاصها من المادة الاثنوجرافية المتاحة من تلك الشعوب الوثنية وثيقة الصلة بالألوهية تدعم المعطيات التالية²:

◀ اعتقاد الشعوب الوثنية في إله أسمى أو خالق متعال كلى على القدرة منعزل عن البشر يكتنفه الغموض إلى حد كبير.

◀ يغلب عليها طابع التعدد مثل ما عند الأنكا الإله الأسمى والآلهة العشائرية، وعند اليوريا، حيث الإله الأعظم اولودومار خالق كل شيء.

اعتقادهم أن الآلهة دائمة الحركة ووجودها وحضورها دائم، واعتقادهم أن هناك ارتباطا وثيقا بين الآلهة وقوى الطبيعة الخفية غير المدركة، وعدم اهتمامهم بالآلهة العشائرية أو القبيلة رغم الإيمان المطلق بفكرة الألوهية، وأن الآلهة العشائرية أو القبيلة أقل أهمية وأقل تأثيرا من الآلهة الأخرى.

1 - فاروق إسماعيل، تأثير الإسلام على الوثنية دراسة انثروبولوجية، 51 [د.ط.]، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1987م.

2 - نفسه، 60، 61 .

وأما في العهد اليوناني، فقد صور هوميروس العلاقة بين الإنسان والآلهة، وفي وصفه للآلهة ودورها، ففي أشعاره تظهر الآلهة فوق جبل الأوليمب أشبه بالمجتمع البشري، لكنه مكتوب بأحرف كبيرة، فزيوس هو السيد المسيطر والقائد الأعلى، وأب الآلهة والبشر، ثم هناك بعض التخصصات في الوظائف فهيرا هي حارسة الزواج، وأرتميس هي ربة الطبيعة البرية، كما أن ديميتر أصبحت الأم، وكذلك تظهر الآلهة بصورة بشرية للناس أو يختفون كما يشاءون، يأكلون ويشربون ويتزوجون، تجرحهم السهام والرمح فيتألمون، وهم حادثون وجدوا في الزمان، ومن الناحية الخلقية لهم شهواتهم وعصبياتهم، وراعوا التقارب بين الإنسان، وأن هناك سائلا عجيبا يجري في عروق الآلهة فيكفل لهم الخلود¹، ويظهر هوميروس في الأوديسا المقارنة بين الآلهة والبشر في حديث الآلهة إلى البطل اليوناني أوديسيوس قائلة: انك تفوق البشر والآلهة مكرا ودهاء... وكلانا يتقن الكذب الذي ينفع ولا يضر، فأنت بين البشر أرجحهم عقلا وأفصحهم لسانا...².

أطوار العقيدة الإلهية عند الأمم القديمة : يعرف علماء المقابلة بين الأديان ثلاثة أطوار عامة مرت بها الأمم القديمة في اعتقادها بالآلهة والأرباب:

1. دور التعدد: Polytheism

ففي دور التعدد كانت القبائل الأولى تتخذها أربابا تعد بالعشرات، وقد تتجاوز العشرات إلى المئات، ويوشك في هذا الدور أن يكون لكل أسرة كبيرة رب تعبد أو تعويذة تنوب عن الرب في الحضور، وتقبل الصلوات والقرابين.

2. دور التمييز والترجيح: Henotheism

وفي هذا الدور تبقى الأرباب على كثرتها، ويأخذ رب منها في البروز والرجحان على سائرهما، إما لأنه رب القبيلة الكبرى التي تدين القبائل الأخرى بالزعامة وتعتمد عليه في شئون الدفاع والمعاش، وإما لأنه يحقق لعبادة جميعا مطلبها أعظم وألزم من سائر المطالب التي تحقّقها الأرباب المختلفة.

3. دور الوحدانية: Monotheism

وفي الدور الثالث تتوحد الأمة فتجتمع إلى عبادة واحدة تؤلف بينها مع تعدد الأرباب في كل

1 - عبد العال عبد الرحمن عبد العال إبراهيم، الإنسان لدى فلاسفة اليونان في العصر الهيليني، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، 1999 م.

2 _ 291 XIII 1957 Chicago *Homer: odyssey in Great books of the western world* _ قلا عن عبد العال عبد الرحمن عبد العال إبراهيم، الإنسان لدى فلاسفة اليونان في العصر الهيليني، 34.

إقليم من الأقاليم المتفرقة، ويبحث في هذا الدور أن تفرض الأمة عبادتها على غيرها كما تفرض عليها سيادة تاجها وصاحب عرشها، و الرأي الأرجح عند علماء المقابلة بين أن الاعتقاد بالثنائية Dualism، تأتي بعد اعتقاد الوجدانية على الصور التي أجمعناها، وهي الوجدانية الناقصة التي تأذن لوجود الأرباب معها أو بتنازع الوجدانية بين دولة ودولة أخرى، وهم يعللون ظهور الثنائية بعد الوجدانية بأن الإنسان يترقي في هذا الطور فيحاول تفسير الشر في الوجود بنسبته إلى اله غير اله الخير، ولا يكون هذا من قبيل النكسة في عقيدته لأنه لا يزال يسيغ تعدد الأرباب ويسيع التمايز والترجيح بينها والتفاوت بين درجاتها وطبائعها.

- خصائص التفكير الديني في الحضارات القديمة:

1. خصائص التفكير الديني في مصر القديمة:

تعدد الآلهة وتمثيلها في أجساد آدمية ورؤوس حيوانات أو طيور، أعظم ما يحير الباحث في شؤون الحضارة المصرية عامة، وعقيدة قدماء المصريين الدينية خاصة، ويدفعه هذا للتساؤل عما يقود شعبا بلغ ذروة التفكير الحضاري، للإيمان بهذه الأنواع من الأرباب والاستمسك بها آلاف السنين، بيد أنه لا يخفي أن المصريين قد وجدوا في عقيدتهم الدينية القومية الغذاء الروحي الذي طالما افتقدوه إبان المحن التي ألمت ببلادهم، بل لقد جعلوا من هذه العقيدة إيديولوجية تبث فيهم طاقة دافعة للحفاظ على الأصالة والذاتية القوميتين، وثمة حقيقة لا تماري في مبناها وهي أن العقيدة الدينية المصرية لم تكن جامدة قط، إذ تأثرت بالأحوال الاجتماعية ودينها التغير¹، وكانت العقيدة الدينية في تطور مستمر، ولا يخفي أن مصر القديمة تستقل إحداها عن الأخرى، ولكل رئيس ومعبود خاصان، ولم يكن لمعبود الدولة نفوذ إلا داخل منطقته، فان نشبت الحرب بين مقاطعة وأخرى اعتبرت حربا بين معبوديهما، فان تحقيق النصر لدولة سادت عبادة معبودها، وإن هزمت ضعفت عبادته أو زالت، فإن تحقيق اندماج مقاطعة بأخرى سلميا اندمج معبودا المقاطعتين، إما في صورة زوج وزوجة أو أب وابن، وثمة ظاهرة في تاريخ الأديان مدارها أن العقيدة الدينية تنبثق عن الأرباب المحليين، ويتطور الفكر الديني وطقوس العقيدة بمرور الأيام، بمعنى أن تقدم المعرفة يعمل على تطور الفكر الديني².

1 - فؤاد محمد شبل، دور مصر في تكوين الحضارة، 391-42 لهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971م..

2 - فؤاد محمد شبل 39-42.

إله الخلود عند المصريين القدامى:

كان قدماء المصريين لهم فلسفتهم وأفكارهم عن الحياة والموت وبعد الحياة، حيث كانوا يؤمنون بالخلود كعقيدة أساسية لديهم، لهذا كان الموت له تأثيره على نمط الحياة عندهم، بل سمة الحضارة الفرعونية، وكانت فكرتهم عن الخلود أن الصحراء لجفافها لها القدرة على حفظ الموميات من التحلل مما يجعل حياة الموتى مستمرة إلى الأبد، لهذا اعتنوا بحفظ الموتى حفاظا على حياتهم الأخرى، وكانت عقيدتهم أن الملك بموته يتحول إلى الإله أوزوريس، لهذا كانوا يحنطونه، ويقيّمون له الشعائر الجنائزية الخاصة ليعث ثانياً باسم الإله أوزوريس بعدما يتحد مع الإله رع (إله الشمس) في سماء مصر، لهذا نجد الحضارة الفرعونية قد قامت على مفهوم ديني وطقوس جنائزية، والكتاب اليوناني (نيكوس كازانتراكس) في كتابه (رحلة إلى مصر) يصف لنا فكرة الموت لدى قدماء المصريين كما في كتاب الموتى، من أن المصري باستثناء لحظات نادرة في تاريخه لم يجعل الحرية غاية له أبداً، ففي حياته السياسية كان عليه أن يطيع القادة، لأن غايته الوحيدة كانت هزيمة الموت وقهره، وكانت هذه هي الغاية العظمى، لهذا كانت قصوره وبيوته من الطين، لأنها خيام لمرحلة انتقالية هي مرحلة الحياة الدنيا، أما قبوره فكانت من الحجارة الصلبة لأنها مساكن أبدية¹.

جاء في كتاب "تاريخ الحضارة المصرية" أن المصريين القدامى حتى نهاية العهد الإغريقي الروماني كانوا يحرصون على تزويد المتوفى بالطعام والشراب، لأنهم كانوا يعتقدون في حياة أخرى، فإذا مات الميت ووضعت جثته في القبر، لا تعود إليه روحه إلا إذا مُدَّ بالطعام والشراب، ويتولى ذلك ابنه الأكبر، وانطلاقاً من عقيدة خلود الروح والحياة الأخرى كان فن تحنيط الموتى وتحنيط ما يوضع معه من طعام حتى لا يفسد، بل كانت نساء كبارهم تدفن معه محنطة، ليكمل له التمتع في حياته الآخرة، وظهرت عادة تقديم الأطعمة إلى الموتى بصور مختلفة، فكانوا يقدمون القرابين للكاهن الذي يوصلها بطريقته إلى الميت، ويعلم الله مصير هذه القرابين، وظهرت عند البعض عادة الذبح عند القبر، وتوزيع الطعام عند زيارة القبور.

الآلهة المحلية في مصر:

كان للظروف التاريخية والسياسة أثر واضح على الاتجاهات الدينية في مصر، وعند ما تكون لك آلهة محلية منفصلة فذلك أمر طبيعي في منطقة مثل الواقعة جنوب الدلتا التي لم تكن سوى واد طويل لنهر يمتد حوالي ألف كيلومتر (حوالي 600 ميل) ومع التوحيد السياسي للبلاد،

1 - عوف أحمد، أحوال مصر من عصر لعصر 17، العربي للنشر، القاهرة.

أصبح اله المدينة العاصمة في الحال قائدا لجميع الآلهة، واتجهت ديانتها لاستيعاب الديانات الأخرى، وهكذا نجد أنه مع وجود ديانات أخرى كثيرة للصقر، فإن سيادة ديانة حوريس إله الصقر الذي توحد مع فرعون الحي، تعني أن الديانة الملكية استوعب الديانات الأخرى، فقد ظهر الإله حوريس في لوح مينا المبكر مصور انتصار مصر العليا على مصر السفلي بوصفه حدثا، تم بفضل الإله وبتوجيه منه وفي ألواح مبكرة أخرى يبدو الإله وهو يقود إحدى العشائر متحدا مع رئيسها، وذلك إما يوحي بنظام يرجع إلى ما قبل التاريخ ويشبه العبادة الطوطمية Totemism (الطوطم حيوان في الأعم الأغلب، وقد يكون نباتا يرتبط باسم العشيرة عند الشعوب البدائية ويعتبر لحمه محرما على أفرادها الذين يعتقدون أنهم انحدروا منه ويحملون لذلك اسمه، ويحرم نظام الطوطم الصلات الجنسية بين أفراد الطوطم الواحد لأنهم إخوة وأخوات لانحدرهم من طوطم واحد¹.

اختاتون والتوحيد: لا ريب في أن ما سبق إنما كان الإعجاب ببعض الباحثين في هذا العصر إلى تمجيد اختاتون تمجيذا يكاد يرفعه إلى مرتبة الأنبياء، ذلك لأن الرجل إن كان قد نجح في ذلك الوقت من تاريخ الإنسانية في أن يدعو إلى عبادة اله واحد، ونبذ ما عداه من آلهة أخرى، وبهذا كانت دعوته أول صيحة علمية عرفتها الإنسانية للدعوة إلى التوحيد، أو على الأقل دعوة بلغت بالتوحيد مرتقاه في تلك الفترة من القرن الرابع عشر قبل الميلاد².

غير أنه هناك رأي آخر غير ذلك، فقد جاء في كتاب الفكر الغربي دراسة نقدية، أن ما لدى المصريين من آثار التوحيد والبعث هو من بقايا دين إدريس عليه السلام، الذي ظهر في مصر وعلم الناس الكتابة بالقلم ودعاهم إلى الواحد الأحد، فقد عرف المصريون الله تعالى قبل أن يعرفوا آمون أوزوريس وتاح وآتون، ولم يكن اختاتون موحد بمفهوم الإسلام، ولكنه وحد عبادة الوثن وجعلها في الشمس قال الله تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾³.

لم يكن المصريون قد خلوا في كل عصورهم من دعوات إلى التوحيد نعلم منها يقينا دعوة يوسف عليه الصلاة والسلام، فالقرآن الكريم أخبرنا أن النبي يوسف عليه السلام دعاهم إلى عبادة الواحد القهار، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَاقِبًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَنْبِيَاءِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾⁴، و﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَاقِبًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَنْبِيَاءِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾⁵، و﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَاقِبًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَنْبِيَاءِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾⁶، و﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَاقِبًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَنْبِيَاءِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾⁷، و﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَاقِبًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَنْبِيَاءِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾⁸، و﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَاقِبًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَنْبِيَاءِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾⁹، و﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَاقِبًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَنْبِيَاءِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾¹⁰.

1 - إمام عبد الفتاح إمام، المعتقدات الدينية عند الشعوب، 44 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993م،

2 - محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة 471، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط5، 1989م.

3- سورة فصلت الآية: 37

الوَاحِدُ الْقَهَّارُ، مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، إِنْ الْخُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ، أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾²، ومن هنا نحكم مستيقنين أن دعوة التوحيد قد وردت عند المصريين، ومهما يكن من شيء، فقد كانت دعوة يوسف عليه الصلاة والسلام، إلى التوحيد لها أثرها، ولكن المصريين ألفوا عبادة ما أنتجه خيالهم من ألوهية زعموها لبعض الأشياء والحيوان³.

2. خصائص التفكير الديني في سوريا القديمة:

فقد اعتقد الإنسان في ذلك العصر بوجود آلهة، وكان لتربية المواشي وممارسة الزراعة أثر في جعل الديانة أكثر تعقيدا، وصاروا يفضلون الآلهة التي تهتم بالحقول والمواشي، على الأرواح التي يعتمد عليها الصيادون، ويذكر فيليب حتى أنه يظن أنه في مرحلة الرعي كان الناس يعبدون اله القمر الذي كان أكثر نفعا وتلطفا من الشمس، وكان القمر يبدر رهبة الظلام، ويأتي بالبردة التي يمكن للقطعان أن ترعي فيها براحة، ولذلك فانه كان صديق الراعي أكثر من الشمس، بحيث أثناء نشوء الحياة الزراعية أوجد الإنسان في فكره ارتباطا بين النمو وبين الشمس التي أخذت حينذاك تتقدم على القمر، وبدأت في ذلك العهد عبادة الإله الشمس، وكذلك عبادة الأرض الأم بشخص آلهة للخصب تتعهد شئون الزراعة، واتخذت الديانة شكلا مؤثرا واضحا لسبب آخر هو أن المرأة يمكنها أن تمارس الزراعة بسهولة أكثر من ممارسة الصيد والرموز المتعلقة بطقوس العبادة، وكذلك الميثولوجيا المتصلة بالآلهة الخصب كانت أصولها في هذه المرحلة⁴.

أما في مجال الاعتقاد في العالم الآخر، فقد عثر على عدة من المقابر الفردية والجماعية التي تؤكد اعتقاد الإنسان في هذه المرحلة في الحياة الأخرى، فقد لوحظ تغطية الهيكل العظمي للمتوفى بالكتل الحجرية، وهذه الظاهرة تمثل مرحلة مبكرة للغاية من مراحل المحافظة على المتوفى، وتطورت فيما بعد إلى تخصيص بناء علوي للمقبرة، ومن الأهمية الإشارة إلى تواجد ظاهرة ذر التراب الأحمر في المقابر، تلك الظاهرة التي يلمسها الباحث في بعض الحضارات الأخرى وخاصة في الهضبة الإيرانية، ربما يكون ذلك لارتباط التراب الأحمر بموضوع الخلود واستمرار الحياة في العالم الآخر، وبالإضافة إلى ذلك فقد وضعت أواني الطعام في أماكن الدفن⁵.

1- سورة يوسف: الآيات: 37-38-40

2 - أنور الجندي، الفكر الغربي دراسة قديمة 81، ط1، إدارة الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، 1987 م.

3 - محمد أبو زهرة، محاضرات في مقارنات الأديان، دار الفكر العربي، مصر، ص8

4 - أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، 251 دار النهضة العربية، بيروت، 1989.

3- أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، 253.

الآلهة الأمورية في سوريا القديمة :

ظلت مملكة إبلا متمسكة بالإله القومي لها (دجن) الذي كان يعكس على مراحل مختلفة ظواهر الشمس والطقس والخصب، ولكن صفة إله الطقس كانت هي الغالبة وكانت الآلهة الأثني هي (بلاتو) التي حملت صفات الإلهة الأم والإلهة العذراء معا، أما (عمورو) فقد كان إله القومي هو (أمورو) ذلك الإله الأموري القديم الذي كان يطلق عليه (مارتو) في اللغة السومرية، ويرجح أن إسم مملكة عمورو اشتق من اسم الإله أو من اسم الشعب الأموري القديم¹.

3. خصائص التفكير الديني في الجزائر القديمة

لقد تكلم الكثير في أديان شمال أفريقيا قديما وحديثا ويرى يحي هويدي في ذلك أن دين البربر، كان قبل نزول الأديان متأثرا بطريقة معيشتهم وبمناخ بلادهم، الذي كثيرا ما كان يفتقر إلى الأمطار وبخاصة في داخل البلاد، فامتلاً دين القوم بكثير من الطقوس* والشعوذة والتعاويذ التي كانوا يرددونها لاستجلاب الأمطار، هذا وإلى أن اتساع الصحراء المحيطة بهم وخوفهم من أن يوغلوا فيها جعلهم يعتقدون وجود أرواح شريرة تشيع في المناطق التي تجاورهم، ومن ثم اختلاط دينهم الوثني بالسحر، وامتلاً بالأدعية والحركات التي كانوا يظنون أن تأديتهم لها من شأنه أن يرفع عنهم هذه الأرواح الشريرة، ويساعد الأرواح الطيبة في الإقامة بينهم².

يقول ألفرد بل في كتابه "الدين الإسلامي في البربر" الذي يمثل دراسة تخطيطية في التاريخ والاجتماع الديني في نشأة الإسلام وتطوره في بلاد البربر من القرن السابع الميلادي إلى القرن العشرين، حيث قال³: أن السمة الغالبة للتصورات الدينية عند سكان الشمال الأفريقي، اعتقادهم بأن العالم تشيع فيه أرواح خبيثة وطيبة تتشكل بأشكال متعددة، وبأن هذه الأرواح تطول إقامتها أو تقصر في أمكنة معينة: في الحجارة وفي الأشجار، في الحيوانات، وفي الكائنات البشرية، وهذا

1 - خزعل الماجدي، المعتقدات الأمورية 85-86، دار الشروق، عمان، ط1، 2002م :

*الطقوس: ومفردها طقس - الذي يشبه في مكوناته قصيدة الشعر النموذجية: مجموعة منظمة مركزة، وموجزة، من الرموز، في الاتجاه المحدد، الذي أراده من يؤدي الطقس أو ينظم القصيدة والطقوس مثل الخرافة تسمح للإنسان في إطار ثقافي اجتماعي معين بأن يكشف وأن يدرك وأن يقيم العلاقات بين ذاته وبين أشياء أخرى في الكون أو الطبيعة أو المجتمع وذلك من خلال أفعال محددة. سامي خشبة، مصطلحات فكرية، 165 [دط]، مكتبة الأسرة، مصر، 1997 م.

2 - يحي هويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الأفريقية، 15/1، [دط]، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965 م.

3 - Alfred Bel , La Religion musulmane en Berberie-Esquisse d'histoire et de Sociologie religieuse, Tome1, L'établissement et développement de L'Islam en Berberie du VII au XXe siècle, Paris,1938, pp750. 16. نقلا عن المرجع السابق، ص.

الاعتقاد شائع بين البدائيين، ويطلق عليه اليوم في علم الأديان اسم المذهب الحيوي، وأغلب الظن أن البربر في العصور الحديثة قد ورثوا هذا التصور الديني عن أجدادهم القدامى من الوثنيين.

ويلخص رينيه باسيه في المقال الذي كتبه في "مجلة تاريخ الأديان"، تحت عنوان: "بحوث في الديانة البربرية" فيقول¹: إن البربر عبدوا الصخور والجبال والوديان والأنهار والمغارات المنتشرة في الجبال، وعبدوا الكواكب وأهمها الشمس، ورمزوا لها بشاة أحاطوا رقبتها بقرص يرمز إلى قرص الشمس.

فهذا المذهب الحيوي الذي يمثل الأساس العام في التصور الديني في شعوب الشمال الأفريقي تسرب إليهم على يد الفينيقيين أيام كانت أفريقيا تابعة لقرطاجنة قرابة ثمانية قرون حتى 146 ق.م. ثم تسربت اليهودية والمسيحية إلى الشمال الأفريقي في العصر الروماني (146ق.م - 439م)، وفي عهد الفندال الذي استمر قرابة قرن من الرمان (439م - 533م)، ثم في العهد البيزنطي الذي استمر حتى الفتح الإسلامي للشمال الأفريقي.

أما جبال عبد الهادي ووفاء محمد رفعت جمعة فيرون أن الإسلام أول دين تدين به أفريقيا عامة والشمال الأفريقي بشكل خاص، فنوح عليه الصلاة والسلام رسول مسلم، وإلى الإسلام وتوحيد الله دعا، وعليه ربي أبناءه، وهذا يترتب عليه أن أبناء نوح كانوا مسلمين، وعليه ربا أبناءهم وعشيرتهم، وذلك يعني أن أول دين عرفته أفريقية، وبه كانت تدين هو الإسلام الذي كان محوره الإيمان بعقيدة التوحيد وبأن الله واحد لا شريك له، وعلى أرض أفريقيا خاصة الشمال الأفريقي، كان ينزل جبريل عليه السلام من السماء، ليحمل رسالة الله رب العالمين إلى رسل الله في الأرض، ومن الرسل الذين كان لهم شرف حمل دعوة الله إلى الإسلام ورسالته على أرض مصر يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، وكذلك موسى عليه الصلاة والسلام، ومن المؤكد أن هذه الدعوة إلى توحيد الله عز وجل، قد انتشرت إلى البلاد المجاورة وأن باقي الشعوب الأفريقية كانوا على علم بها².

4. خصائص التفكير الديني في الجزيرة العربية قديما:

يتضح من النقوش التي عثر عليها أن العقائد والحياة الدينية في جنوب الجزيرة العربية كانت متماثلة على اختلاف الأدوار والبيئات³، وأن الآلهة كالبلشر ذكورًا وإناثًا، وتوصلنا منها إلى أن القمر،

1 - René basset: Recherches sur la religion des berbères, revue histoire des religions, 1910, pp11. - 1

عن المرجع السابق، ص 17

2 - جبال عبد الهادي، وفاء محمد رفعت جمعة، أفريقيا يراد لها أن تموت جوعا، ط4، دار الوفاء، 1991م، 14. بتصرف يسير.

3 - حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام 201، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993م،

هو مذكر عند جميع العرب على اختلاف لهجاتهم، وأما "الشمس" فهي أنثى عندهم، وأما "النجم" الذي هو "عثر" فهو ولد عند العرب الجنوبيين، وعلى ذلك فنحن أمام ثلاث سماوي يتألف من إلهين ذكرين ومن إلهة أنثى، وقد عجزنا عن الاهتداء إلى كيفية ظهور هذا الثلاث، أو العائلة الصغيرة المختارة المكونة من ذكرين وأنثى؛ لأننا لم نعثر على نص جاهلي أو غير جاهلي يتحدث عن كيفية ظهوره، نجد أنفسنا قد عجزنا عن الحصول على مثل هذه المصطلحات في النصوص الجاهلية، ولهذا لم تتمكن من تكوين رأي عن تصور الصلة التي كان يراها الجاهليون بين الشمس والقمر، وفي اليونانية والهندية وأساطير الشعوب الأخرى، أن القمر اقترن بالشمس، وتزوج بها، وتغنت بذلك الزواج، وبالنظر لوجود الإله الذكر والإلهة الأنثى في نصوص المسند، وفي مؤلفات أهل الأخبار، فلا يستبعد احتمال محيء يوم قد نعثر فيه على نصوص قد تتعرض إلى أسطورة زواج القمر بالشمس، وفي عربيتنا لفظة "اقتران" نطلقها على اقتران الشمس بالقمر وعلى اقتران الكواكب بعضها ببعض، وترد في كتب النجوم والأنواء، وفي هذه اللفظة معنى الازدواج، إن هذه الأسطورة التي جعلت من الأجرام السماوية آلهة، وحصرت الألوهية في ثلاثة أجرام منها في الغالب ثم زوجها و أولدتها، حولت هذا الزواج إلى زواج حقيقي سماوي يشبه زواج الإنسان على سطح الأرض، زواج تكون من ذكر وأنثى، من أب وأم، أنتج ولداً عند العرب الجنوبيين، وولدين عند شعوب أخرى غير عربية هما كوكبا الصباح والمساء، أو بناتاً هي الملائكة أو الجن عند فريق من الجاهليين¹، ونجد الإله "القمر" يلعب دوراً كبيراً في الأساطير الدينية عند الجاهليين، دوراً يتناسب مع مقامه باعتباره رجلاً بعلاً أي زوجاً، والزوج هو "البعل"، والرب والسيد وصاحب الكلمة على زوجه وأهله عند العرب، وهو القوي ذو الحق، وعلى الزوجة حق الطاعة والخضوع له، وبناء على هذه النظرية جعل الإله القمر صاحب الحول والوصول والقوة في عقيدة أهل الجاهلية في الأرباب، ومن هذا الإله القوي الجبار، جاء "الله" بعد أن تحول الثلاث عند بعض الجاهليين إلى "واحد"، واستخلصوا منه عبادة "الله"، وقد عرف القمر بـ"ثور"، ولعل ذلك بسبب قرنيه اللذين يذكران بالهلال، دُعي بهذه التسمية².

ويجب أن ننتبه إلى أن الكتابات الجاهلية وكذلك أخبار أهل الأخبار، قد نصّا على اسم الإلهة الشمس، فدعوها باسمها، أي الشمس، أما القمر، فلا نجد لاسمه الخاص ذكراً يتناسب مع مقامه، نعم ذكر بـ"شهر" و"سين" في النصوص العربية الجنوبية، و"شهر" القمر في العرييات

1 - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 11/ 173.

2 - قسه، 11/ 173-174.

الجنوبية، ولا زال الناس يسمونه بهذه التسمية في جنوبي جزيرة العرب، لكننا نجد أسماءه المأخوذة من النعوت، أي من صفاته تطفئ عليه، فهو "ود" في الغالب في النصوص المعينية، ويظن من لا علم عميق له بالعربيات الجنوبية، أنه اسم إله خاص، بسبب ما شاهدوه من تعبد أهل مكة وغيرهم وكذلك القبائل إلى الأصنام وتقربهم إليها، وقولهم إنها تقربهم إلى الله، وبسبب نص القرآن الكريم على تعبد الجاهليين وتقربهم للأصنام والأوثان، فذهبوا إلى أنهم كانوا مجرد عبدة أوثان ولم يفتنوا إلى أنهم اتخذوا الأصنام واسطة وشفاعة للآلهة التي هي أجرام سماوية في الأصل، أو لأن أهل الجاهلية القريين من الإسلام، كانوا قد ابتعدوا عن عبادة الكواكب ولم يعودوا يذكرونها ذكر أجدادهم لها، واختصروا عبادتها، بأن جعلوا من الثالوث إلهًا واحدًا، هو "الله" فتقربوا إليه، وعكفوا يتقربون إليه بالتقرب إلى الأصنام والأوثان، وذلك باتخاذهم إياها رموزًا مشخصة وممثلة للإله على الأرض، فكان لكل قبيلة صنم يقربهم في زعمهم إلى الله، وإذا أردنا تلخيص ما توصلنا إليه عن آلهة العرب الجنوبيين، قلنا إنهم تعبدوا كما ذكرنا لثالوث سماوي تألف من القمر والشمس ومن عثر، وهو الزهرة في رأي معظم الباحثين¹.

وقد عرف القمر بـ"ود" عند المعينيين، وبـ"المقه" عند السبئيين، وبـ"عم" عند قبتان، وبـ"سن" "سين" عند حضرموت، وبـ"ود" عند أوسان، وعرفت الشمس بـ"نكرح" عند المعينيين، وبـ"شمس" عند السبئيين، وبـ"أثرت" "أثيرت" عند القبتانيين، وبـ"شمس" عند أهل حضرموت وأوسان، وقد رمز الفن العربي الجنوبي إلى هذا الثالوث السماوي المقدس برموز، فرمز إلى القمر بهلال نحت أو نقش على الأحجار والأخشاب والمعادن، والهلال، يشير بالطبع إلى مطلع القمر في أول الشهر القمري، كما أشير إليه برأس ثور ذي قرنين أما الشمس فقد صورت قرصًا أو دائرة، أو كتلة أو هالة، والقرص، صورة طبيعية لقرص الشمس، التي تظهر في السماء قرصًا وهاجًا يبعث الحرارة والنور، وأما الزهرة، فرمز إليها بصورة نجمة في النقوش العربية الجنوبية وبثمانية خيوط إشعاعية في النصوص البابلية، وهي ذكر وولد عند العرب الجنوبيين، وقد هدم الإسلام عبادة الكواكب، وحرّم السجود للشمس وللقمر، والصلاة لهما، وحاول اجتثاث كل ما له صلة بتلك العبادة، فلم يبق اليوم من العرب من يتعبد للثالوث السماوي المقدس، ولكننا لا نزال نرى بعض العوام يغضبون إذا سب أحدهم الشمس أو القمر، ويتقرب الأطفال إلى الشمس بأسنانهم التي يخلعونها؛ لتعطيم أسنان غزال، أي أسنانًا جميلة بيضاء، إلى غير ذلك من أوابد يعرفها الأعراب².

1 - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 174-175.

2 - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 11/175.

الإله في الديانة الحنيفية :

إن الحنيفية كانت اعتقاداً سائداً يجسد موقفاً توحيدياً يؤسس لميثاق مقدس خارج الزمان والمكان موجود في وعي الناس يجذبهم نحو المطلق، نحو اللامتناهي، خارج إطار أي تشكّل لغوي وثقافي وتراثي.

إن الإسلام هو دين حنيف تجسد لشعائر، محددة زمانياً ومكانياً، مسبقة بأديان الوحي المتقدمة زمانياً عليها والكل مؤسس على فضاء قدسي لا متناهي يتمثل بالحنيفية الموصولة بإبراهيم عليه الصلاة والسلام حتى قبل التضحية بابنه من أجل طاعة الله تعالى، ويبدو أن الحنيفية هي استعداد لعبادة إله واحد لا متناهي وغير مجسد، ويعتبر الدكتور شوقي ضيف أن كلمة حنيف تعني المائل عن دين آبائه كما يدل اشتقاقها اللغوي، والحقيقة أن معظم الذين اعتنقوا الحنيفية مالوا عن عبادة الأوثان والأصنام المحدودة زمانياً ومكانياً إلى دين إبراهيم عليه السلام¹.

- العرب بين التوحيد والشرك:

كانت العرب في الجاهلية على أديان ومذاهب، كان منهم من آمن بالله تعالى، وآمن بالتوحيد، وكان منهم من آمن بالله تعالى، وتعبّد الأصنام؛ إذ زعموا أنها تقرّبهم إليه، وكان منهم من تعبّد للأصنام، زاعمين أنها تنفع وتضر، وأنها هي الضارة والنافعة²، وكان منهم من دان باليهودية والنصرانية، ومنهم من دان بالمجوسية، ومنهم من توقف، فلم يعتقد بشيء، ومنهم من تزندق، ومنهم من آمن بتحكّم الآلهة في الإنسان في هذه الحياة، وببطلان كل شيء بعد الموت، فلا حساب ولا نشر ولا كتاب، ولا كل شيء مما جاء في الإسلام عن يوم الدين ومذهب أهل الأخبار.

إن العرب كانوا على دين واحد، هو دين إبراهيم، دين الحنيفية ودين التوحيد، الدين الذي بعث بأمر الله تعالى من جديد، فتجسّد وتمثّل في الإسلام، وكان العرب مثل غيرهم، قد ضلوا الطريق، وعموا عن الحق، وغووا بعبادتهم الأصنام، حببها لهم الشيطان، ومن اتبع هواه من العرب، وعلى رأسهم ناشر عبادة الأصنام في جزيرة العرب: "عمرو بن لحي" وذهب "رينان" Renan إلى أن العرب هم مثل سائر الساميين الآخرين موحدون بطبعهم، وأن ديانتهم هي من ديانات التوحيد، وهو رأي يخالفه فيه نفر من المستشرقين، وقد أقام "رينان" نظريته هذه في

1 - سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام 49-50، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1995م،

2 - أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيري الكاتب، إيمان العرب في الجاهلية، "تحقيق محب الدين الخطيب"، "القاهرة 1382" ص12 وما بعدها نقلاً عن جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 33.

ظهور عقيدة التوحيد عند الساميين من دراسته للآلهة التي تعبد لها الساميون، ومن وجود أصل كلمة "أل" "إيل" في لهجاتهم، فادعى أن الشعوب السامية كانت تتعبد لإله واحد هو "أل" "إيل"¹، الذي تحرف اسمه بين هذه اللهجات، فدعي بأسماء أبعدته عن الأصل، غير أن أصلها كلها هو إله واحد، هو الإله "أل" "إيل".

و"التوحيد" الإيمان بإله واحد لا شريك له، منفرد بذاته في عدم المثل والنظير، لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام، ويقال للديانة التي تدين بالتوحيد: Monotheism في اللغات الأوروبية، من أصل يوناني هو Monos بمعنى "واحد"، و Theos بمعنى "إله"، لأنها تقول بوجود إله واحد، ويمثل القول في التوحيد في اليهودية وفي الإسلام.

والشرك في تفسير العلماء المسلمين، أن يجعل لله شريكاً في ربوبيته، غير الله مع عبادته، والإيمان بالله وبغيره، فصاروا بذلك مشركين، ومن الشرك أن تعدل بالله غيره، فتجعله شريكاً له، ومن عدل به شيئاً من خلقه فهو مشرك؛ لأن الله وحده لا شريك له ولا ند له ولا نديد، ويقال له Polytheismus = Polytheism في اللغات الأوروبية، من أصل يوناني هو Polys، ومعناها كثرة وتعداد، و Theos بمعنى "إله" فيكون المعنى: القول بتعدد الآلهة، أي الشرك نقض القول بالتوحيد Monotheismus، فالشرك هو الدين المعاكس لدين التوحيد²، ويختلف عن عقيدة الـ POIYDOEMONISM القائلة بوجود الأرواح والجن من حيث الطبيعة Nature، وبوجود أثر لها في حياة الإنسان، كما يختلف، عن القائلين بمبدأ "الحلول" Pantheism من حيث حلول الإله في الخلق والخلق في الإله، وقد ذهب أهل الأخبار إلى أن العرب الأولى كانت على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، من الإيمان بإله واحد أحد، اعتقدت به، وحجت إلى بيته، وعظمت حرمه، وحرمت الأشهر الحرم، وبقيت على ذلك، ثم سلخ بهم على أن عبدوه ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليها الصلاة والسلام غيره، فعبدوا الأوثان، وابتعدوا عن دين آبائهم وأجدادهم، حتى أعادهم الإسلام إليه.

ونظرية أن العرب جميعاً كانوا في الأصل موحدين، ثم حادوا بعد ذلك عن التوحيد فعبدوا الأوثان وأشركوا، نظرية يقول بها اليوم بعض العلماء مثل "ويليم شميد" Wilhelm Schmidt

1 - E. Renan, Histoire Générale et Système Comparées des Langues Sémitiques, Paris, 1855, vol. I, Chapt. I, P. 1. ff3. قلا عن جواد علي، ص3.

2 - Schmidt, S 637. W. Schmidt, Der Ursprung der Gottesidee, 4, ed 1912 في الفصل 4، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص35.

الذي درس أحوال القبائل البدائية وأنواع معتقداتها، فرأى أن عقائد هذه القبائل البدائية الوثنية ترجع بعد تحليلها وتثريتها ودراستها إلى عقيدة أساسية قائمة على الاعتقاد بوجود "القديم الكل" أو "الأب الأكبر"، الذي هو في نظرها العلة والأساس، فهو إله واحد، وتوصل إلى أن هذه العقيدة هي عقيدة سبقت التوحيد ثم ظهر من بعدها الشرك، وقد أطلق عليها في الألمانية مصطلح Urmonotheismus أي التوحيد القديم¹.

- الألوهية في الدين الإسلامي:

الألوهية Deity هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحدا يعبد ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه²، وأيضا إفراد بأفعال العباد التي يفعلونها على وجه المشروع كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والإجابة³، وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم واستباح دمائهم وأموالهم وأرضهم وديارهم وسبى نسائهم وذريتهم⁴، وهو الذي بعثت به الرسل وأنزلت به الكتب مع أخويه توحيدي الربوبية والأسماء والصفات، لكن أكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد وهو توحيد الألوهية بحيث لا يصرف الإنسان شيئا من العبادة لغير الله سبحانه وتعالى، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا لولي صالح ولا لأي أحد من المخلوقين، لأن العبادة لا تصح إلا لله عز

1 - الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 35.

2 - عبد الرحمان حسن حنيك، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط8، 1997، دمشق، دار القلم، ص158، وانظر: سليمان بن عبد الله بن محمد، تيسير العزيز الحميد، ط7، بيروت، المكتب الإسلامي، 1998، ص: 37، وانظر: عبد العزيز بن باز، محمد بن صالح العثيمين، فتاوى مهمة لعموم الأمة، تحقيق: إبراهيم الفارس، ط1، دار العاصمة، الرياض، 1413هـ، ص9. وانظر تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، تجريد التوحيد المفيد، تحقيق طه محمد الزيني، [دط]، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1989 م، ص7. وانظر أيضا علي الطنطاوي، تعريف عام بدين الإسلام، ط14، دار الوفاء، مصر، 1992م، ص68.

3 - "محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. تحقيق زكريا علي يوسف، [دط]، دار الكتب العلمية، بيروت، [دت]، ص35، وانظر الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، القول السديد في مقاصد التوحيد، تحقيق المرتضى الزين أحمد، ط3، مجموعة التحف النفائس البولية، المملكة العربية السعودية، [دت]، ص19، وانظر: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، عقيدة التوحيد، مؤسسة الحرمين الخيرية، السعودية، ص36. انظر كذلك عبد المحسن بن حمد العباد البدر، قطف الجنى الباني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ط1، دار الفضيلة، السعودية، 2002م، ص56. وانظر أيضا أبا عبد الرحمن العلوي، الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة، ط1، دار الوطن، الرياض، 1997م، ص227. عبد المحسن بن حمد العباد البدر، فتح القوي المتين في شرح الأربعين وثمة الحسين للنووي وابن رجب، ط1، دار ابن القيم، الدمام المملكة العربية السعودية، 2003م، ص20.

4 - الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، القول السديد في مقاصد التوحيد، ص: 19، وانظر أيضا: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، شرح حديث جبريل في تعليم الدين، ط1، مطبعة سفير، الرياض، ص28. وانظر: محمد صالح العثيمين، فتاوى أركان الإسلام، ط1، دار المنهاج، مصر، 2003م، ص7.

وجل ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر، وإن أقر بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات¹. وجاء في السياق نفسه قول محمد بن عبد الوهاب توحيد الألوهية وهو أن لا يعبد إلا الله لا ملكا متقربا ولا نبيا مرسلا، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث وأهل الجاهلية يعبدون أشياء مع الله تعالى، فمنهم من يدعوا الأصنام، ومنهم من يدعو عيسى عليه الصلاة والسلام، ومنهم من يدعو الملائكة عليهم السلام، فنهاهم عن هذا، وأخبرهم أن الله تعالى أرسله ليوحده، ولا يدع أحدا من دونه، لا الملائكة ولا الأنبياء، فمن تبعه ووحده الله تعالى، فهو الذي شهد أن لا إله إلا الله، ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة واستنصرهم والتجأ إليهم فهو الذي جحد لا إله إلا الله مع إقراره أنه لا يخلق ولا يرزق إلا الله وهذه جملة لها بسط طويل، لكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء.

ولما جرى في هذه الأمة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم حيث قال "لَتَنبَعُ سَنَنٌ مِّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ صَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ"، وقال محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: ما تعلق بالوهيته أشرف مما تعلق بربوبيته، ولذلك كان توحيد الألوهية هو المنجى من الشرك دون توحيد الربوبية بمجردة، فإن عباد الأصنام كانوا مقرين بأن الله تعالى وحده خالق كل شيء وربهم ومليكه، ولكن لما لم يأتوا بتوحيد الألوهية وهو عبادته وحده لا شريك له لم ينفعهم توحيد ربوبيته²، وقال أبو العباس نقلا عن سليمان بن سحان: وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع، كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد³، ويبين حسين الهرابي في مقاله التوحيد هو روح الحرية أن الإنسان كان في كل هذه الظروف يتلمس إيجاد سر الوجود، والعثور على معرفة الحقيقة لروح الحياة، يقول بعض المشتغلين بالفلسفة الحرة: إن الإنسان لم يبحث بغريزته عبثًا عن مصدر تلك القوة إلا لأنه ضعيف في كثير من أوقات حياته، وقليل الحيلة فيما ليس من قدرته، وقليل الإدراك لظواهر الطبيعة التي تبهر نفسه؛ فهو في حال المرض لا يقوى بنفسه على محاربة الداء، وفي حال الجذب لا

1 - محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص: 35، وانظر: محمد بن صالح العثيمين، فتاوى محممة لعموم الأمة، ص 10.

2 - محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص 35، وانظر الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، القول السديد في مقاصد التوحيد، ص 19.

3 - سليمان بن سحمان، الصواعق المرسلة الشهائية على الشبه الناحضة الشامية. تحقيق عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، [دط.]، دار العاصمة، الرياض، [دت.]، ص 319

يقدر على إنزال الماء من السماء، فلباً من ضعفه أن يستمد العون من قوة أخرى تخيلها أنها أكبر منه سلطاناً على الوجود، ورمز لها بتأثيل يسجد بين يديها يستمد العون منها¹، وهي اعتراف الإنسان اعترافاً صريحاً بعجزه منذ القدم إلى يومنا هذا في حل سر الوجود بعقله المطلق وفكره الشخصي مما علت ثقافته ومهدت أمامه أسباب العلم، وهذه نتيجة هامة، غير أننا نشير الآن إلى أن اعتراف الإنسان صراحة بعجزه وضعفه جعله ينظر إلى العالم نظرة فلسفية من غير أن يشعر، فقد اعتقد أنه لم يوجد لا ليكون ضعيفاً ذليلاً فتنأى في طلب الذل والتقصيف والزهد والخنوع، فأخذ يتلمس طرق إرضاء خياله عن القوة المسيرة للعالم من طريق إذلال النفس وقتلها بأنواع شتى من التعذيب، ترى صوراً منها في الأديان القديمة التي ما زالت آثارها باقية حتى اليوم، وقد يقال: إن العالم تطور كثيراً، ووجد فيه من العلماء والفلاسفة من أرشده إلى معرفة شيء عن النفس الإنسانية، ومع ذلك لا نشك أن فطرة الإنسان قد جعلته يفكر في القوة التي أوجدت هذه الكائنات، وكانت فكرة الدين جزءاً من عقلية الإنسان، ونرى ذلك متجلياً عند استكشافات في أمريكا الوسطى وتوغل في بلاد المكسيك لأول مرة؛ حيث وجد ديانات فيهم لا تختلف كثيراً عن ديانات العالم القديم، ووصف لنا المذاهب البشرية قرباناً للآلهة مما يدل على أن فكرة الدين واحدة في العالم القديم والجديد متصلة وجزء من تكوين الإنسان، وإن كان الطريق للعبادة مرسومًا على قدر تفهم الإنسان معنى الحياة كما يوحيه إليه ضعفه وعجزه، والتماس معرفة تلك القوة العظمى التي أوجدته وصيرت العالم بذلك النظام البديع الذي بهر نفسه².

خاتمة

من خلال ما طرح يلاحظ أن الإنسان محتاج دائماً إلى قوة تقدر أن تهب للنفوس البشرية الطمأنينة والراحة النفسية، وتشبع تطلعا إلى عبادة الله الواحد الحق، وتمنحها القيم الأخلاقية الرفيعة، وقواعد العدل الاجتماعي، ويوضح البحث مسيرة الإنسان وشدة حاجته إلى أن يعرف ربه وأن الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة وهدى ضرورة من ضرورات هذه الحياة لا تقل أهمية عن حاجة الإنسان إلى الطعام والشراب، بل هي من أعظم الضرورات على الإطلاق والعموم؛ إذ تتوقف عليها سعادة البشرية ونيل مكاتها وريادتها، بل يترتب على تركها الذل الأبدي والحزن السرمدي.

1 - حسين الهراوي، التوحيد هو روح الحرية. مجلة المنار، العدد 35 مارس، 1936م، ص 290.

2 - حسين الهراوي، التوحيد هو روح الحرية، 290.

أما في دراسات العصور القديمة لا يمكن حدوث اتفاق في الدراسات الاستقصائية المبينة على المشاهدات والملاحظات لكثرة الأغاليط فيها بقصد أو غير قصد، وإذا كانت هذه الدراسات غير مستقرة وغير نهائية حتى الآن، وهذه الخصوصية في المجتمعات القديمة دون إنكار أن الفطرة الإنسانية تمر بمراحل عبر التاريخ تحيد فيها عن صوابها الطبيعي والجبلي ورسالات الرسل والأنبياء هي الأداة لتقويم الخطأ .

المصادر والمراجع

- احمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م
- إمام عبد الفتاح إمام، المعتقدات الدينية عند الشعوب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993م
- أنور الجندي، الفكر الغربي دراسة نقدية، ط1، إدارة الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1987 م
- تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، تجريد التوحيد المفيد، تحقيق طه محمد الزيني، [دط]، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1989 م.
- جمال عبد الهادي، وفاء محمد رفعت جمعة، أفريقيا يراد لها أن تموت جوعاً، ط4، دار الوفاء، 1991م.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج11، دار الساق، ط4، 2001م.
- حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993م
- حسين الهراوي، التوحيد هو روح الحرية. مجلة المنار، العدد 35 مارس، 1936م.
- خزعل الماجدي، المعتقدات الأمورية، دار الشروق، عمان، ط1، 2002م
- سامي خشبة، مصطلحات فكرية، [دط]، مكتبة الأسرة، مصر، 1997 م
- سليمان بن سحمان، الصواعق المرسلة الشهائية على الشبه الداحضة الشامية. تحقيق عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، [دط]، دار العاصمة، الرياض، [دت].
- سليمان بن عبد الله بن محمد، تيسير العزيز الحميد، ط7، بيروت، المكتب الإسلامي، 1998،
- سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1995م
- صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، عقيدة التوحيد، مؤسسة الحرمين الخيرية، السعودية.
- عبد الرحمان حسن حنك، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط8، دمشق، دار القلم، 1997،
- عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، القول السديد في مقاصد التوحيد. تحقيق المرتضى الزين أحمد، ط3، مجموعة التحف النفائس الدولية، المملكة العربية السعودية، [دت].
- عبد العال عبد الرحمن عبد العال إبراهيم، الإنسان لدى فلاسفة اليونان في العصر الهيليني، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، 1999
- أبي عبد الرحمن العلوي، الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة، ط1، دار الوطن، الرياض، 1997م
- عبد العزيز بن باز، محمد بن صالح العثيمين، فتاوى مهمة لعموم الأمة، تحقيق إبراهيم الفارس، ط1، دار العاصمة، الرياض، 1413هـ

- عبد المحسن العباد البدر، شرح حديث جبريل في تعليم الدين، ط1، مطبعة سفير، الرياض
- عبد المحسن بن حمد العباد البدر، فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتمة الخمسين للنووي وابن رجب، ط1، دار ابن القيم، السعودية، 2003م
- عبد المحسن بن حمد العباد البدر، قطف الجني الباني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ط1، دار الفضيلة، السعودية، 2002م.
- عطية صقر، "http://www.Islamic-council.com"
- العقاد محمود عباس، الله، دار النهضة، مصر.
- علي الطنطاوي، تعريف عام بدين الإسلام، ط14، دار الوفاء، مصر، 1992م
- عوف احمد، أحوال مصر من عصر لعصر، العربي للنشر، القاهرة.
- فاروق إسمايل، تأثير الإسلام على الوثنية دراسة انثربولوجية، [دط]، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1987م.
- فؤاد محمد شبل، دور مصر في تكوين الحضارة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971م
- محمد أبو زهرة، محاضرات في مقارنات الأديان، دار الفكر العربي، مصر
- محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. تحقيق زكريا علي يوسف، [دط]، دار الكتب العلمية، بيروت، [دت].
- محمد بن عبد الوهاب، مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، تحقيق عبد العزيز الرومي وآخرون، [دط]، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.
- محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1989، 5م
- محمد صالح العثيمين، فتاوى أركان الإسلام، ط1، دار المنهاج، مصر، 2003
- محمد عثمان الخشت، الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم، دار قباء.
- نبيل توفيق السالموطي، الدين والبناء الاجتماعي، دار الشروق.
- يحيى هويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الأفريقية، [دط]، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965م.